فلاديمير هولان

قصائد مختارة



ترجمة: سعدي يوسف

منشورات الجمل



قصائد مختارة

فلاديمير هولان

قصائد مختارة

ترجمة

سعدي يوسف

منشورات الجمل

وُلد سعدي يوسف في البصرة عام ١٩٣٤. تخرج من دار المعلمين ببغداد سنة ١٩٥٤. عمل في الصحافة وتنقّل بين عدّة بلدان ويقيم اليوم بلندن. نشر العديد من الترجمات الشعرية والنثرية، وكتب القصة والرواية، كما تُرجمت أشعاره إلى العديد من اللغات ونال العديد من الجوائز الأدبية في البلدان العربية والعالمية. من أعماله الأدبية وترجماته الأدبية: **القرصان**، شعر (١٩٥٣)؛ **أغنيات ليست للآخرين**، شعر (١٩٥٥)؛ **قصائد مرئية**، شعر (١٩٦٥)؛ **نهايات الشمال الأفريقي**، شعر (١٩٧٢)؛ **الأخضر بن يوسف ومشاغله**، شعر (١٩٧٢)؛ **والت ويتمان: أوراق العشب**، ترجمة (١٩٧٦)؛ **تحت جدارية فائق حسن**، شعر (١٩٧٤)؛ **قصائد أقل صمتاً**، شعر (١٩٧٩)؛ **خذ وردة الثلج، خذ القيروانية**، شعر (١٩٨٧)؛ **قصائد باريس، قصائد إيثاكا**، شعر (١٩٩٢)؛ **كافافي: وداعاً للإسكندرية التي تفقدها**، ترجمة (١٩٧٩)؛ **يانيس ريتسوس: إيماءات**، ترجمة (١٩٧٩)؛ **لوركا: الأغاني وما بعدها**، ترجمة (١٩٨١)؛ **فاسكو بوبا: شجرة ليمون في القلب**، ترجمة (١٩٨١)؛ **غونار أكليف: ديوان الأمير وحكاية فاطمة**، ترجمة (١٩٨١)؛ **أونغاريتي: سماء صافية**، ترجمة (١٩٨١)؛ **هولان: قصائد**، ترجمة (١٩٨١)؛ **هنري ميللر: رامبو وزمن القتلة**، ترجمة (١٩٧٩)؛ **نغوجي واثيونغو: تويجات الدم**، ترجمة (١٩٨٢)؛ **ديفيد معلوف: حياة متخيّلة**، ترجمة (١٩٩٨)؛ **وولي سوينكا: المفسّرون**، ترجمة (١٩٨٦).

فلاديمير هولان، **قصائد مختارة**، ترجمة: سعدي يوسف
الطبعة الأولى، جميع حقوق الطبع والنشر والاقتباس باللغة العربية
محفوظة **لمنشورات الجمل**، بغداد ـ بيروت، ٢٠١٠
ص.ب: ٥٤٣٨ ـ ١١٣، بيروت ـ لبنان
تلفاكس: ٣٥٢٣٠٤ ٠١ (٠٠٩٦١)

© *Al-Kamel Verlag* 2010
Postfach 1127 . 71687 Freiberg a.N . Germany
WebSite: www.al-kamel.de
E-Mail: info@al-kamel.de

مقدمة

ولد فلاديمير هولان في براغ عام ١٩٠٥، أمضى طفولته في غابات الريف بقلب بوهيميا، لكنه عاد إلى براغ ليبدأ دراسته الثانوية.

نشر عام ١٩٢٦ مجموعته الشعرية الأولى.

اشتغل سبع سنوات في دائرة للضمان الاجتماعي، وخلال هذه الفترة نشر مجموعتين.

في عام ١٩٢٦ زار شمالي ايطاليا، وقد احتفظ شعره اللاحق بالدهشة التي أحسها إزاء فن العمارة، والمشاهد، والماضي الحضاري، هناك.

عام ١٩٣٣ تولى تحرير مجلة فنية «الحياة»، لكنه منذ ١٩٤٠ وهب الكتابة وقته الكامل.

نشر هولان أكثر من عشرين مجموعة شعر، إضافة إلى مختارات وانثولوجيات متنوعة، وأربعة كتب نشر من بينها يومياته للسنوات ١٩٣٤ ـ ١٩٣٨.

حين شرع هولان يكتب في أواخر العشرينات، كانت «الشعرية» هي الشكل الشعري السائد، الذي يمارسه شعراء مشهورون أمثال نزفال، سيفرت، نبيبل. و«الشعرية» هي تطبيق تشيكي للسريالية والدادائية، يتسم بالفانتازيا الملونة

والظرافة. كانت قصاد هولان الأولى تنحو هذا المنحى من الطليعية، أما مجموعاته المبكرة، فتفصح عن خيال مبدع، وتحكم بالأوزان والتراكيب، ومهارة غير اعتيادية في التلاعب اللفظي.

لكن الأضواء كانت تخبو من أوروبا، ومعها خبت «الشعرية».

وقد دفع الاحتلال النازي في آذار ١٩٣٩، هولان، مثل زملائه الشعراء، سيفرت وهالاس ونزفال وهورا، إلى أن يقولوا شعراً جديداً، مباشراً، ومسلطاً على الحقائق الصارخة، شعراً ناقد الصبر، يعبِّر عن المناخ الشعبي الرافض للاحتلال النازي، والمتعلق بالبقاء كأمة.

أما التحرير في أيار ١٩٤٥، فقد أتى بشعره المتميز، مثل «شكراً للاتحاد السوفييتي» ١٩٤٥، و«جنود الجيش الأحمر» ١٩٤٧، جامعاً بين المباشرة واللامباشرة. حاملاً آمال سنوات ما بعد الحرب، والتقدير الأصيل للخصال الإنسانية لدى الجندي السوفييتي العادي.

بين ١٩٤٨ و١٩٦٣ اعتزل هولان الحياة العامة في منزله بجزيرة كامبا الصغيرة على نهر الفولتافا، ولم يغادر هذا المنزل إلا نادراً، وقد منحته هذه العزلة الطويلة شعراً رائعاً يجمع بين القوة والمرارة والاحتقار والقلق واليأس. قال في قصيدة «إلى العدو» مخاطباً منتقديه، عام ١٩٤٩.

عليكم أن تحيوا،
لكنكم لن تكونوا، لأنكم لستم أحياء
وأنتم لستم أحياء، لأنكم لا تحبون
لأنكم لا تحبون حتى أنفسكم ـ فكيف بجاركم؟

منذ ١٩٦٣ هبت الرياح باتجاه آخر، فقد نشرت ٣ مجلدات من شعره، في تلك السنة وحدها. وتلتها مجموعات ثلاثة هي بالترتيب «متقدماً» و«حوار

ثلاثي» ١٩٦٤ ، و«ألم» ١٩٦٥ ، كما نشرت قصيدته الدرامية التأملية «ليلة مع هاملت» عام ١٩٦٤ ، لمناسبة مرور أربعة قرون على ميلاد شكسبير. وفي سنة ١٩٦٥ ، وفي عيد ميلاده الستين، منح هولان لقب «الفنان الوطني» وهو أسمى جائزة أدبية رسمية.

ان اتساع أعمال هولان وتنوعها أمران يلفتان النظر، وقليل هم الشعراء المحدثون الذين أظهروا مثل هذا التطور المبدع في أكثر من عشرين ديواناً. فالأسلوب، والموضوع، والنوع، تتغير وتنضج باستمرار، لكننا نجد الشعر، في كل خطوة، يكشف عن تحكم كفء عال بالنمط المختار.

في تشيكوسلوفاكيا، يرى الكثير، هولان، باعتباره أشهر شاعر تشيكي حي.

سنة ١٩٦٦ منح جائزة «اتنا ـ تاورمينا» العالمية على قصيدته «ليلة مع هاملت». وترجمت مختارات من شعره، إلى اللغات الايطالية، والفرنسية، والألمانية، والسويدية.

قصائد هذا الكتاب ترجمت من اللغة الانجليزية وتمثل مراحل متتابعة على أساس ست مجموعات متتابعة.



من مجموعة: **بلا عنوان** ١٩٦٣،

قصائد بين ١٩٣٩ ـ ١٩٤٢

بروج

مساءٌ مبكرٌ...

مقبرةٌ

والريح حادة مثل نثير العظام على وَضَم.

الصدأ يهز انموذجه من الشكل المعذب

وفوق هذا كله،

فوق دموع العار

تكاد النجمة تعترف،

لم لا نفهم البساطة إلا حين تنكسر قلوبنا؟

ونمسي، بغتة، وحيدين، ضائعين...

لا، لا تذهبي الآن

لا،

لا تذهبي الآن.

لا تخافي من الاستثارة

إنه الدب يفتح قفير العسل في البستان

وسرعان ما يهدأ.

أنا أيضاً أمسكُ الكلماتِ المندفعة مثل لعاب الأفعى

نحو المرأة التي في «عدْن»

لا،

لا تذهبي الآن،

لا ترخي خمارك.

فالزعفران قد أضاء المروج.

إذًا، هذه أنت، أيتها الحياة،

مع أنك تقولين:

بالرغبة نستزيد شيئاً، لكنَّ الحبَّ يظلُّ الحبَّ.

الساعة

ها هي ذي الساعة: الموسيقى لا تستطيع،

والكلمة لا تريد.

خطُّ العدم الداكن الذي رسمه النفَس

يشير...

كل الحقيقة نريدها كي تأتي الصورة.

بدأ المطر يسقط. الأحمر يتلاشى من الداليا.

القاتل يغسلُ يديه في البئر.

من مجموعة: **متقدماً ١٩٦٤،**

قصائد بين ١٩٤٣ ـ ١٩٤٨

لا شيء... البتة

نعم، إنه الفجر

وأنا لا أعرف لِمَ أسرعتُ الأسبوعَ كلَّه

في الشوارع الزمهرير

حتى أبلغ هذا الباب

وأقف، عنده، الآن، قبل أواني.

لا أريد أن أقحم المستقبل.

لم أرد أن أوقظ الأعمى.

عليه أن يفتح لي الباب

ويعود ثانية.

على الرصيف

امرأة عجوز

تعرج إلى هنا، كل يوم

لتبيع الجرائد.

وحين تتعب

تتكوم على حزمة جرائدها

وتنام.

المارَّة ألفوها

حتى لم يعودوا يرونها ـ

أما هي، الغامضة الصامتة، مثل عرّافة

فإنها تخفي ما كان عليها أن تقدّمه.

شكوى رجل ميت

سُمح لي بأن أعود، مدة، إلى أهلي.

وأن أتعرف في أرضهم على البيت العائم

وسرعان ما جئت إلى القرية

الريح انزلقت في أردان الصفصاف.

كان يوم أحد، الأسرة جالسة في الحديقة

وكانت أختي تأخذ الحليب إلى القبو.

لم يخطر ببالي أنني سأفزعهم.

لكن ما داموا يعتقدون بأنني لست أنا

فقد كان عليّ ألا أقول بأنني حي.

كل شيء اختفى في الهواء الشفيف

بين البنفسج وأزهار الثالوث

وأمامي تداعى مشهدُ الطبيعة المخطّط بخيوط العنكبوت،

شقائق النعمان، وضوء القمر،

وساعة منبّهة على سور المقبرة.

بناء برج بابل

كانت تتخلص من حكمك مثل عامل بناء.

كان العمل من ضحكة الفجر حتى ابتسامة المساء

مثل الأرض الشتائية عند حفار القبور.

منذ أمد أخمدنا العمل

ولم يعد أملُ النجاةِ أكثرَ من بصقةٍ

داستها قدمٌ حافية.

كان تلاشي الروحيّ سريعاً

مخيفاً، حتى آمن عديد منا بخلود الجسد.

وبدأنا نلتقي مع بدائلنا.

أما أنت... لا!

كان يكفي تلك المرأة من بابل

أن تمشي عبر سور الاسفلت العالي

آنذاك سترى الكتلة الهائلة اللاإنسانية

المنذورة للخلود

هشة في الفجاءة.

كانت الخرائب مباغتة

مثل يقين الحب.

الموت

منذ سنين وسنين، أبعدتَه عنك،

أغلقتَ المكان، وحاولتَ أن تنسى،

عرفتَ أنه ليس في الموسيقى، فغنَّيتَ

عرفت أنه ليس في الصمت، فهدأتَ

عرفت أنه ليس في العزلة، فانفردتَ.

لكن.. هل حدث اليوم ما يفزعكَ

مثل من رأى، بغتة، في الليل

خيطَ نورٍ أسفل باب الحجرة المجاورة...

الحجرة التي لم يسكنها أحد منذ سنين؟

اليوم ثمة...

اليوم، ثمة في أعماقك نبعٌ

لم يمضِ على جفافه أمدٌ طويل...

لكن... ما أسرع امتلاءه بالدمع

اليوم، ثمة في أعماقك مطار

لم يمرَّ عليَّ تركه أمد طويل...

لكن.. ما أسرع اكتساءه بالعشب!

عليك الآن أن تترجّل، وتمضي، ونبع الأسى في داخلك،

لكنك تقف متجمداً برداً

بينما الصراصير تعبر الشارع أمامك

منتقلة من الجزّار إلى الخبّاز.

الفرح

الفرح!

ثمة فرح.. حقاً.

وأحسُّ به، لا قاسياً مندفعاً نحونا

مطفئاً نيراننا التي لم تُحرس،

ولا دُواراً يأتي لنا في ضوء السخرية المضاعَف

بزجاجة وأحذية كي يرقصنا ـ

لا... فلقد أحسُّ به فرحاً هادئاً

بسيطاً

فرحاً لم يماثله فرح...

فرح إنسان يتمشى على جسر

ويريد أن يظل، مغنياً، إلى الأبد...

لكن كان يكفي أن تُسقط الريح

ورقة ذابلة عند قدميه

حتى يمسي الجسر مثقلاً.

مواجهة

أوقفتني امرأةُ

عند أبواب بلدة مجهولة.

سألتُها: دعيني أمرُّ

فأنا أدخل وأخرج، فقط

وأدخل وأخرج، ثانية،

لأنني مثل كل رجل أخاف الظلام.

لكنها قالت لي:

لقد أبقيتُ النور مشتعلاً!

ساءلتكَ

فتاة ساءلتك، ما هو الشِّعر؟

أردت أن تقول لها:

أنت أيضاً، نعم، أنت

في خوف المعجزة ودهشتها،

أغار من نضج جمالك،

ولأنني لا أستطيع أن أقبِّلك

أو أضاجعك...

ولأنني لا أملك شيئاً،

ولأن من لا يملك شيئاً يهديه، يجب أن يغنِّي...

لكنك لم تقل، كنت صامتاً.

وهي لم تسمع الأغنية.

أسبوع الآلام

أحقاً، أنا وحيد، ثانية

أحب قليلاً،

وأظل صامتاً قليلاً،

أعاني قليلاً،

وأظن نفسي حراً لأنني لم أحقق، البتة، مصيري؟

ألستُ أفهمُ أن المرء لا يعطي

إلا لأنه يحتاج؟

أكنتُ مفعماً بتلك الرايات المتباهية

التي تضايق النور الفارغ إلى أن يبهتها؟

حتى الفن، حيث الإحساس للنبض

مثل المصباح لمنضِّد الحروف ـ

ساحقاً قشوري العقيم.

في الخارج يهطل المطر

تماماً.. حين ينطلق الذئب أثر البجعة،

بينما يتعالى في النهر المرتاب

هديرُ الجذوع الطافية...

توابيتَ لنا جميعاً.

ابتسامات

ثمة ابتساماتٌ كثيرة

لكني أفكر بأصعبها،

بأبسط ابتسامة.

إنها غائرةٌ عميقاً،

محزوزة على كل جانب

بالسكّين الزمني لزارع الكروم،

ابتسامة تريد تغضينة واحدة، حسب

لتكشف كل شيء، وتنفتح لاسم اللّه.

ابتسامة كتلك التي تظل على الوجه

أطول من الفرح الذي جاء بها ـ

أو أنها الابتسامة التي تمضي قبل الفرح

وتختفي

تاركة الوجه بأسره يفرح وحيداً.

الصوت البشري

الأحجار والنجوم لا ترغمنا على موسيقاها

والأزهار صامتة

والأشياء تمسك عنا،

والمخلوقات تتخلى، بسببنا، عن تناسق البراءة والتلصّص،

الطيور الخرساء وحدها تعرف الأغنية،

تلك الطيور التي رميتَ لها باقةَ قمحٍ لم يُدرَسْ

يكفيهم

أن يكونوا،

وذلك أبعد من الكلمات،

لكننا... نخاف، ليس في العتمة، حسب،

فنحن، حتى في الضوء الغامر

لا نرى جارنا،

وإذ نتلهف، مستميتين، إلى رُقية

نصرخ مرتعبين:

أأنت هناك؟ تكلم!

في المطبخ

لم تكن هنا، منذ عام تقريباً

وكنتَ خائفاً من الدخول.

وحين دخلت، أخذ الفراغ ثأره

آمراً أن تكفر عن حضورك بحضورك.

كل شيء هنا يخزيك:

مشمع الأرضية، الضرم، الذباب الميت،

عنف الخبز، الخل الكريه للجص المتشقق،

اسمرار اللطخات، وسُفعة الهواء المتوتر،

ونسيج العنكبوت في الزوايا،

وتحت هذا كله، الصمت

حيث يشع القمر في النهار، حسب.

لكنك ترى، بغتة

ووسط هذا كله

(بصرامة عمر كامل، قاسية، عادية، غامضة)

فنجان القهوة

ملطخاً بشفتي الفتاة التي هجرتك،

الطفل

طفل يضع أذنه على السكة الحديد

منصتاً للقطار.

غير مهتم كثيراً

وهو ضائع في الموسيقى الغامرة ـ

بالقطار.. رائحاً كان أم غادياً...

لكنك كنت تتوقع، دوماً، شخصاً ما،

تفارق، دوماً، شخصاً ما،

حتى تجد نفسك،

فلا تعود في مكان ما.

ميـراث

يغادر الشعراء

ويخلّفون، دوماً، فيما يخلّفون

شيئاً أرهقه الزمن والخطيئة والمنفى.

أصْدَقُهم

وأقلهم شهرةً

وأهدأهم

وأكثرُهم حباً

لا يقحم عليك شيئاً: حتى بصورته،

بهزئه، أو بعزائه...

بل حتى بحبه،

هو حاضر، غائب.

وبيكاسو وهو يصنع رجل ثلج

فهم جيداً

أن خلود الفن هو في الزمن، والخطيئة، والمنفى

التي على الشمس أن تفتديها

بالدمع

والنبع

والنهر

والبحر

والعدم.

أكتوبر

الهواءُ البلّورُ يقصي أيَّ تماثُل.

حتى بدائلنا يرفضون أن يقدّموا

شهادتهم الشبحية بأننا أحياء.

اللارؤية تمسي مسعورة

حتى أننا لنغمض، ببساطةٍ، عيونَنا.

النبيذُ الجيد لا يحتاج إلى إعلان.

والفن أيضاً.

حسٌّ مسبق

في ليلة من كانون الأول

ملأتَ كأسك نبيذاً

وذهبتَ إلى الغرفة الأخرى تأخذ كتاباً.

حين عدتَ كانت الكأس نصف مليئة.

كنتَ خائفاً، وسألتَ بصوت متهدِّج مجنون:

من شرب الكأس؟

ما دمتَ تعيش وحيداً

رهين جدران الحجر والشوك البري..

وفي هذه اللاإنسانية

طردت منذ أمد بعيد:

التمثال

والسعلاة

والشبح.

الأمّ

ألاحظتَ أمَّكَ يوماً

وهي تمهّد فراشك

كيف تجذب ملاءتك

وتمسحها

وتمسدها

حتى لا تحس أنت بثنية واحدة؟

إن أنفاسها

وحركة يديها وراحتيها

حبيبة...

إلى حدّ أنها في الماضي ما تزال تطفئ

حريق «البرسيبوليس»

وفي هذه اللحظة تهدِّئ عاصفةً آتية

من الشاطئ الصيني

أو من بحار مجهولة.

طبيعة صامتة عند بحيرة

نعم، كل شيء هنا.

كل شيء كاملٌ

وفي موضعه، صامتاً، مضيئاً،

ثمة حكمة جلاها الإنسان، والخبز والكتب

لا... ليس حتى شعرة تشوِّش قلمَك

فتمسحه على كُمِّك،

أنت تعلم جيداً أن قبو الخمر ليس فيه إلا الخمر،

العناصر هنا، الريح، والنجم، والعاصفة ـ

إلا أنك تستعيد أسماء السفن المبحرة،

متلهفاً إلى الهروب.

قبل أن تحلم بالسفن المبحرة

قد تهرب أنت فعلاً،

مثل ذلك الراهب

الذي هجر الأولمب

لأنه لم يجد ربَّه هناك.

ليلة إثرليلة

عذراء، فقط، تستطيع أن تدخل

عبر باب مغلقة،

غرفةَ نومها

حيث كل ما يسمى ثقة

يفوح منذ زمن برائحة الاستمناء

والعنف

والبصاق في بئر

وإكليل الراتنج

المقذوف، طوعاً، على برج الرجل.

إن كان شاعراً أمسى كل شيء خراباً،

وإن كان قاتلاً فلسوف يسود العري هنا

وسيكون ثمة مصفّق

مصفقٌ مستأَجر من مقالع رخام اسخيلوس.

حبل...

سُلّم حبال روميو!

كم يتمايل خفيفاً في ريح المساء،

مُخفِياً، ببراعة، روحه القنّب.

من يهبطه يعرف عظمة الإنسان،

التي لن تنال الكمال إلا إذا لحقها العار هنا.

ومن يرقَه يعشْ هوىً طاهرَ الدم

وقتياً

إلى حدٍّ توقُّعِ صدى،

لكن ـ إلهياً أيضاً

إلى حدٍّ أن يفنى بناره نفسها.

نعم، أو، لا

نحن نبحث، دائماً، عن الخسيس.

لكن هذا الخسيس أعمى.

وهكذا... حين نبحث عن أفئدتنا، نبحث عن العمى...

ولأننا عميان زمناً طويلاً... فقد أمسينا لمسة.

لمسة، تؤكد، معتذرة

أنه سيكون ثمة أغنياء وفقراء،

ليس لأن الجسد شبعان أو جائع

لكن لأن كل روح إنسانية مختلفة.

أما الآن

فإنه اللمسة المجرّدة

هذه التي تتلمّس، بدون خطأ، سبيلَها.

خلال الأزقة الملتوية

لسوق النخاسة.

لتظلّي

لتظلّي معي، لا تتركيني،

حياتي خاوية

وأنت وحدك القادرة

على منعي من أن أسأل أسئلة أخرى.

لتظلّي معي، لا تتركيني

أرفقي بنفاد صبري

المخطوط في سجل سفينة سجن

والذي سيبقى إلى الأبد.

لتظلّي معي، لا تتركيني

أنت لا تعرفين الغضب، ولا غضبك يدوم ـ

وحين تقهرين غضبك، أنّى مضيتِ

فكيف ستشعرين؟

انتظري قليلاً

انتظري،

انتظري في الأقل ساعي البريد

حين يأتي محمَّلاً برسائلَ لك أنتِ، حسبُ.

منصتا إلى اسطوانة

اليوم فقط، هنا، أو هناك

ينتفون ريش الحجلة

المخصصة أصلاً لمائدة الملك سرجون.

اليوم فقط، يظهر ربع الصوت المضاعف

لطيور بادت منذ زمن مديد

في موسيقى الرقصات البربرية.

اليوم فقط، يجد تقيُّحُ اللوزتين العادي للرسوم الحجرية

مجداً حيوانياً في حنجرة الأوبرا.

اليوم فقط، يظهر التنتالوم أو الترياق

في أسفل بطن التمثال القديم.

لا شيء يعود من العالم الآخر.

كل شيء هنا.

لكن... حتى الروح في داخلنا

يجب أن تدخل، دوماً.

من مجموعة: **حوار ثلاثي ١٩٦٤،**

قصائد بين ١٩٤٩ ـ ١٩٥٥

الجدار

ـ لِمَ أثقلتَ هروبك بالمحاذير هكذا؟

لم تهون الرحلة وتتصاغر؟

ـ خمسة عشر عاماً

كنتُ أتكلم مع جدار،

والآن جَررتُ الجدار هنا

خارج جحيمي

حتى يتمكن من أن يخبركم

جميعاً.

٢١ حزيران ١٩٦٣

هذا اليوم ليس الوقت...

اليوم، ليس وقت أغاني زهرة الثالوث.

أنت تعد فتاتك بحبٍّ لا يموت

ثم سرعان ما تأسف، بعد قولك

لأن فستان الزفاف لم يأت،

وبدلاً من الخاتم

تقدم لها قفّازين مسمومين.

نحن لا نزور مستشفى

ولا جنازة.

الأخيرة

الورقة الأخيرة ترتجف على الشجرة

لأنها تعلم جيداً أن لا ثبات بلا اهتزاز.

إنني أرتجف يا إلهي

لأنني أحس بموتي الوشيك، وعليَّ أن أكون ثابتاً.

من كل شجرة تسقط الورقة الأخيرة

لأنها تؤمن بالأرض.

من كل إنسان يسقط الادعاء الأخير

لأن لوحَ المشرحة بالغُ البساطة.

الورقة لا تحتاج إلى أن تسألك شيئاً، يا إلهي ـ

أنت منحتها النماء، وهي لم تنكر يدك.

أما أنا...

دائماً

ليست المسألة أنني لا أريد أن أحيا،

لكنَّ الحياةَ كاذبةٌ

إلى حدٍّ أنني حتى لو كنت محقّاً

فعليَّ أن ألتمس الحقيقة في الموت...

وهذا ما أفعلُه الآن.

سؤال

عرفتُ، الليلة، من كتاب في الفلك

أن نجوماً معيَّنة هي الأقدم عمراً

وتوشك على الانطفاء...

كم أسعدني النبأ!

فتحتُ النافذة، ونظرت إلى أصغر النجوم عمراً...

لكني لم أستطع أن أرى إلا الغيوم

بينما سمعت ضحكة وضيعة

(كالريح المعوّلة في مدخنة محرقة)

دفعتني إلى أن أجد نجمة

في الفضاء الذي بين النجوم..

وكان الفجر يبزغ...

آه، يا حبيبتي، كيف ترانا نحبّ ولا نيأس،

كيف نكون يائسين وحكيمين في آن؟

من مجموعة: **ألم ١٩٦٥،**

قصائد بين ١٩٤٩ ـ ١٩٥٥

الشروق

إنها ساعة ذهاب القسيس إلى القداس

ممتطياً الشيطان.

إنها الساعة التي تنغلق فيها حقيبة الفجر

على صُلب الإنسان.

ساعة للصقيع، ولا شمس

لكن الحجر حار

لأنه يتحرك.

إنها ساعة انجماد البحيرة

حول شواطئها،

وانجماد الإنسان في قلبه.

إنها الساعة التي لا تكون فيها الأحلام

أكثر من براغيث

تلسع بشرة مارسياس.

إنها الساعة التي تضمّد فيها الأشجارُ

بالراتنج

جراحَها التي فتحها الغزال،

إنها الساعة التي يلمّ فيها الأقزام

كلماتِ الوقت المتناثرة.

إنها الساعة التي يجرؤ فيها المرء

بسبب الحب وحده

على أن يهبط في الكهف،

كهف ستالغمايت الدموع التي

حُبست، سراً

فصنعتْ أرداتها الخبيئة.

إنها الساعة

التي تكتب فيها قصيدتَكَ

وتقولها مختلفةً

جدّ مختلفة.

في المصعد

دخلنا المصعد،

اثنين

وحيدين،

نظر أحدنا إلى الآخر،

هذا كل شيء.

حياتان

لحظة امتلاء

نشوة.

في الطابق الخامس خرجتْ

ومضيتُ أنا صاعداً

عارفاً أني لن أراها ثانية،

وأن اللقاء، كان مرة، وإلى الأبد،

وأنني لو تبعتها

فسأكون مثل ميت في أثرها،

وأنها لو عادت إليّ

فكما لو أنها عادت من العالم الآخر.

عميقاً في الليل

«كيف لا أكون»...

سألتَ نفسك،

وفي النهاية قلتَها عالياً...

لكنّ الشجر والحجر صامتان

ولو أنهما ولدا من الكلمة...

فإنهما صامتان

لأن الكلمة تخاف أن تصير.

لكن ما تزال لهما الأسماء

أسماء:

الصنوبر

القيقب

الحَوْر...

وأسماء:

الفلسبار

البازلت

الفونولايت

الحب.

أسماء جميلة

خائفة فقط مما صارت إليه .

ربيع مبكر

النور يأتي من جُرف غمام خفيض.

الثلج يغادر.

الهواء يملّس نفسه في الصفصاف.

الأرض تتذكّر. الينابيع تتنبّه

والغراب، من حُبّه الحياة،

يطير بلا صوت

والبذرة لا تتكلّم...

لكن، ليس كلُّ صامتٍ أخرسَ.

هذا الكهف إلى يسار المشهد

هادئ هادئ،

ولو أنه امتلأ، سريعاً، بالجنود

فإن فماً واسعاً كان يتشدَّق.

هوميروس أمام بطن حصان طروادة...

ذكرى ١

الشمس تغرب على المزبلة

مثل مصباح دائرة رسمية،

وقبل أن تنطفئ

تضيء شجرة أكاسيا

في آخر الشارع.

فتاة تقف عند ينبوع الساحة،

جميلة.

تحدثت معها،

لكأنها كانت شاكرة،

كل كلمة مني جعلتها ليست فقط من هذا العالم،

لم تكن تعرف شيئاً،

لم تكن تعرف حتى أن ذاك العري

يمكن أن يثقله الكساء

بحيث لا يكشفه إلا فستان.

كانت تضحك

وتعبث بخاتمها

وتسعل قليلاً.

كانت مألوفيتها جدّ غامضة

بحيث اختفت،

وكان علي أن أقبلها

لتمسي أكثر غموضاً.

لكني حين سألتها، بعد حين

عن الطريق إلى أقرب قرية

أشارت إلى الاتجاه الخطأ.

الحضور ليس صيغة المضارعة، فقط!

ثلج

في منتصف الليل، شرع الثلج ينزل.

أكيد أن المطبخ

أفضل مكان للجلوس.

حتى لو كان مطبخ من لا ينام.

الجو دافئ هناك

أنت تطهي لنفسك شيئاً

تشرب نبيذاً

وتنظر عبر النافذة

إلى أبدية صديقك.

لِمَ تهتم إن كان الميلاد والموت

مجرد نقطتين...

ما دامت الحياة خطّاً غير مستقيم؟

لمَ ترهق نفسك محدِّقاً في التقويم

متسائلاً عما يهدده الخطر؟

لِمَ تعترف بأنك لا تملك النقود

لشراء أحذية «ساسكيا»؟

ولمَ تتباهى

بأنك تعاني أكثر من الآخرين؟

لو لم يكن هنا صمتٌ

لَحَلُمَ الثلج به.

وحيدٌ أنت...

وفِّرِ الإيماءات.

لا شيء للعرض.

كيف؟

كيف أحيا؟

كيف أكون بسيطاً وأميناً؟

كنت أبحث، دوماً،

عن كلمة نُطقتْ مرة واحدة، حسب،

أو عن كلمة لم تُنطق، البتة.

كان علي البحث عن كلمات عادية.

لا شيء يضاف

حتى إلى الخمر غير المختومة.

مرة أخرى

حتى لو أخفق صديقٌ

في فهم أشعاري

(ثمة أناسٌ لا يستطيعون القتل

وإن كانوا يتمنون أن يقتلوا)

حتى لو كنتُ في اليأس

والعزلة

(بعض التماثيل تحولت إلى خشب

اشمئزازاً من خطايا البشر)

حتى لو كان الانتحار سبيلي الوحيد،

فإن لدي الإحساس ذاته:

أن أصبح لا شيء،

ومع هذا، أن أحطم ذلك اللاشيء!

إنني أحب مرة أخرى...

حين يهطل المطر يوم الأحد

حين يهطل المطر يوم الأحد

وأنت وحيد.

منفتحٌ على العالم...

لكن لا لصَّ يأتي،

ولا سكّير

ولا عدو يدقّ الباب.

حين يهطل المطر يوم الأحد

وأنت مهجور،

ولا تستطيع أن تتخيل الحياة

بدون الجسد

ولا تستطيع تخيُّلَ أن لا تحيا

وأنت لا تمتلكه...

حين يهطل المطر يوم الأحد

وأنت مع نفسك

فلا تفكر بالثرثرة مع نفسك.

إذ سيكون آنذاك ملاكٌ

لا يعرف إلا ما في الأعلى،

أو سيكون آنذاك شيطان

لا يعرف إلا ما في الأسفل.

كتابٌ يرتهن،

قصيدةٌ تنطلق.

بعد عيد القديس مارتن ١

سقط الثلج الأول في الفجر

فتيًّا

حييًّا،

مجرد وعد وبشارة،

وشبحاً يثبت كيف يمر الجمال عابراً.

وقبل أن يعترف الفانون

الذين انتبهوا إلى حضوره،

قبل أن يعترفوا ـ ولو بعيون نصف مغمضة ـ

بحمى رغبتهم...

نفد صبر الأرض العطشى

وشرع الثلج يذوب.

لكنك عرفت آنذاك

من آثار الخطى

أن بعض الناس كان يمشي

بينما الآخرون يسجّلون الوقت.

أبيات

إنه الزمن الذي يُقدَّمُ فيه الكرنبُ مع الغضب

والعجلُ مع الحقد،

إنه الزمن الذي يستقطر فيه الموتُ

الخمرَ من عنب الثعلبِ،

إنه الزمن الذي كلما كنتَ فيه أشدَّ عمًى

كان بصرُك أكثرَ حدّة،

إنه الزمن الذي تُحرَثُ فيه حدودُ الحقول،

إنه الزمن الذي تَعرف فيه الدمعةُ

إنها تبكي وحيدة،

إنه الزمن الذي يتلمّس فيه الذئبُ

الرسالةَ والكتابَ،

إنه الزمن الذي يتسلّط فيه

الضوءُ الكشّافُ على الروح،

إنه الزمن الذي لا تستطيع أنت فيه

أن تحبَّ شقاءك

لأنه شقاء الجميع.

ليس مع أفلاطون

جمالها دمَّرَ حبي،

فإذا دمّرتُ الوهم

دمّرتُ الحقيقة.

حبُّه دمَّرَ جمالي

فما دمتُ قد مُنحتُ قناعاً

فقد أردتُ ستارة أيضاً.

فجرٌ ثقيل...

قريةٌ

أكلوا فيها الديكةَ جميعاً.

ذكرى ٢

بعد ساعات من البحث، عبثاً، في كل مكان

عن كزبرة الثعلب،

خرجنا من الغابة

وتوقفنا، في الظهيرة، عند الخليج.

كان الهواء ساخناً مثل صفيحة قصدير.

نظرنا إلى المنحدر

في الجانب الآخر

كثيف الدغل والشجر

القاسيين مثلنا،

كنت أريد أن أسأل

وبغتة... في الكتلة الساكنة للسحر المتجمّد

ارتجفتْ شجرةٌ مفردة

في بقعة مفردة

ارتجفت مثل ربع صوت، لكن صامتة

ربما قلتُ إنها ارتجافة الفرح الطليق

والمغامرة.

لكنّ الشجرة غدت ذات حفيف

كحفيف الفضة حين تستحيل سوداء،

ثم أخذت ترتعد

مثل تنورة امرأة

تلمس ملابس رجل

بينما هي تقرأ كتاباً في مستشفى مجاذيب.

ثم شرعت الشجرة تهتز

وتتمايل

كأن امرأً يهزها

امرأً يحدّق في أعماق عين الحب السوداء ـ

وأحسسُ أنني منذور للموت

تلك اللحظة...

قال أبي:

«لا تخف.. إنها شجرة حَوْر رجراج»

لكني ما زلت أتذكر كيف شحب وجهه

حين بلغنا المكان، فيما بعد،

ووجدنا تحت الشجرة

كرسياً فارغاً.

خريف ٢

شفقٌ خريفيّ في الريف

شفقٌ يكوّن أصدقاء،

لكن، جاء عبر الحقول، رجل وامرأة

ظلا يسألان عن الطريق

منذ أن رفع عليهما مزارعٌ سوطه.

«إني أحبك لـ...»

كان الرجل يحكي للمرأة

الحكاية القديمة القديمة.

قالت المرأة:

«أتذكر ما كانوا يقولون...

من نام تحت شجرة الطقسوس مات»

البطّ البريّ يطير.

البرد يطهّر النهر.

وحورية النهر ذهبت تتدفأ

في سقيفة البستان.

بعد عيد القديس مارتن ٢

بعد عيد القديس مارتن

كنت أسير عبر هضبة غاهاتاغات،

ذاهلاً حتى عن يومي.

لكن الثلج كان يسقط ويسقط،

مغطياً كل شيء.

وفي لحظة، هبّت الريح حادة.

أحنيت رأسي

وفجأة، رأيت، منكمش القلب

خطوةً تتقدّمني دائماً

آثار أقدام جديدة...

لا إنسانَ قربي.

إذًا... من يتقدّمني هناك؟

كنت أنا

أسير قدّامَ نفسي.

نزف

أمرٌ رهيب أن تحيا

في هذه السنوات.

المنتحر وحده يظن أنه يستطيع المغادرة

من الباب، الذي هو مجرد رسمٍ على الجدار.

ليس ثمة أقل إشارة

عن قدوم الروح القدس.

في قلبي، ينزف الشعر.

أغنية الحارس الليلي

«بيرنز» كان محقاً...

لكني مقتنع

بأننا لا نستطيع أن نتخيل امرأة

من قراءة كتاب...

أو من الواقع.

هي كائنةٌ. وبفضلها الرجال كائنون أيضاً

قتلةٌ في الغالب

يقتسمون بأبّهةٍ ملكيةٍ

التاجَ الماسيَّ لسِّرها.

بلا عنوان ٢

يقال إن أحجار «الدرويد» يمكن تحريكها.

لكن جمال النساء

حركتهن ذاتها

أكثر قسوة.

الشاعر الكسير يكتبه في هذا العالم،

هذا العالم الذي لم يعد يصغي

للمسافة والمغامرة

والذي يبيع روعته رخيصة..

الروح الأبيّة ليست مأساوية.

الشهر الرابع

ضباب نيسانيّ، شؤبوب شمس

شاحب مثل عصا أعمى

تتلمّس طريقها، شبراً شبراً.

يدان باردتان

قلب ساخن.

أنت أيضاً تحسّ بأكثر من إحساس...

لكن هذا كل شيء.

إن داهمَكَ الخطر فلن تملك دفعاً.

وإن باغتتك السعادة فلن تملك قوة.

الصنوبرة

ما أجمل تلك الصنوبرة البيضاء القديمة

على تلَّ طفولتك

هذه التي تزورها اليوم!

تحت همسها تتذكّر موتاك

وتتساءل عن يومك متى يأتي.

تحت همسها تحسّ

كما لو أنك كتبت كتابك الأخير،

وأنْ ليس لك الآن

إلا أن تصمت وتبكي...

حتى تنبت الكلمات.

أي حياة عشت؟

لقد تركت المعلوم

نحو المجهول.

وقدرك؟

لقد ابتسم لك مرة

ولم تكن هنالك...

الفرخ

الأبواب تنفتح بنفسها

فليدخل ملاك.

في أزمنة أخرى يأتي فرخٌ

من الساحة إلى المطبخ

وينظر حوله إلى الجماعة بعين نقَّادة

فلا ينتظر الجماعة النهاية

بل يرسمون علامة الصليب

دفاعاً عن النفس.

الموت

ها هو ذا يدور، ثانية، حولنا

مثل الهواء المتبلد على بَشَرة مُشْعِلِ حرائق

أو نفحِ مصنع بيرة قريب.

إني أراه واضحاً

في الخط الذي شقَّته ماسة آدم السوداء

على زجاج العذرية.

في العدم

في العدم المنمق

مثل كتاب سمين عن أغنية ضائعة

لشاعر مجهول،

نحن نفكر اليوم...

نحن الذين نعرق بدل أن نبكي،

نحن الذين نقول عن الصخرة الباكية إنها تعرق،

نحن نفكر اليوم بمن غرق

بينما نتعلم السباحة كي لا نغرق...

ها هي الحديقة خلف النافذة

الحديقة التي كانت أنيقة في أزمنة أخرى

تمسح أنفها الأخضر

بكُمِّ الريح

ثم تنظر إليه بعيون نبات الهدال.

في ليلة متجمدة

في احدى الليالي

سمعت شجرة الجوز

تنقصف بالصقيع.

هوت مثل قذائف الشظايا

في اقتحام بابل،

تلك الشظايا التي تنفجر، الآن، فقط.

خرج الفلاح من بيته راكضاً

خرج حصان من إصطبل،

ورأيتني أفتح الكتاب الأبيض

لاستدعاءات الضمير...

لا نملك مفتاحاً واحداً

لذا نجد أنفسنا عاجزين.

لمحة

لمحتها لمحاً من القطار

الذي يرى الظلَّ حقيقة.

لكنها كانت جميلة حقاً

وحاسرةَ الرأس،

حاسرة كما لو أن ملاكاً

ترك رأسه هناك

ومضى بالقبعة.

بين

بين الفكرة والكلمة

أكثر مما نستطيع فهمه

ثمة أفكار لا يمكن أن نجد لها كلمات.

الفكرة الضائعة

في عيني وحيد القرن

تظهر، ثانية، في ضحكة كلب.

عاشقان

وقتٌ في الجبال

غيرةٌ، ثمرة عدم التصديق

وقت في الربيع

عدم اخلاص، ثمرة الغيرة.

وقت عند النهر

غيرة بلا حب

صمّاء، لكن مغرقة بالجنس.

حلم

الأعماق اليبيسة في حدود الذاكرة

تستحيل شعرات تبلغ الجحيم.

الكبت يلح بلا استحياء.

ضحكة.

تقول الليدي ماكبث،

«لم آخذ الرجال مأخذ الجد أبداً»

بينما كانت تتفحص يدها

الملطَّخةَ بالدم

من قتل البعوضِ السكران.

في المرض

مكعب ثلج يذوب،

حنفية تقطر،

أعدُّ قطرات الدواء.

التبت تنظر بالماء

نحن ننظر بالدموع.

عصر

نحن ما نزال في الزمن

حسب ما تخبرنا صور الأشياء.

أما اليوم...

فقبل أن يخطو الباذر خطوة

يكون الحاصد هناك.

يبدو

أن لن يكون ثمة موتى

ولا أحياء...

العذراء

انتهت الحفلة

ذات الأضواء الكثيرة.

الظلام كامل.

وكان، هو، هناك.

لم تأبه هي... إن كانت مشاعره نبيذاً

وأفكاره عنباً.

غادرها قبيل الصباح.

جلست تنظر خلال الثقب الصغير

في فستانها

إلى الأظفر العاري ليوم الإثنين.

الليلة الثانية عشرة

إنه يوم الشموع التي تلعق

أشواكَ شبُّوطِ الميلاد.

لكن المدقَّ الخشب لهرس بذرة الخشخاش

بالغُ الجمال

في الواجهة العميقة لحائط القش،

وجميل هذا الهدوء العتيق،

والأسبوع الماضي لم يخيب ظنَّ الزمن.

جوٌ متجمد

لكن شاهدة القبر ساخنة.

لأنها تتحرك.

العصفور

طائراً فرَّ من غصن ثلجي

هزَّهُ خفيفاً

وأوماً برفضه الإحساس الأعمى.

ثلج قليل. سقط من الغصن،

لن يمرَّ وقت طويل حتى يأتيَ الإنهيارُ.

وداعاً

ثانيةً، تندفع العاصفة

من مكمن القدر الأسود.

الذهن يتراخى

مشدوهاً، مثل جسد صار داخله خارجه.

مَن تراه الراقص في قباء جناح الوطواط؟

مَن ذهل لما رأى؟

الماء في البئر يعيد الشباب،

رجلٌ يلتمس النبع.

كل هذا مضى.

ثمة كلمات يجب ألا يتكلم امرؤ عنها.

لن تفي بالوعد الذي قطعته.

الجمجمة حلمت بعينيك.

لكن

إله الأغنية والضحكة

أغلقَ، منذ زمن طويل،

أبواب الأبدية، خلفه.

ومنذ ذلك الزمن

لا يصلنا إلا صدى ذكرى محتضرة.

ومنذ ذلك الزمن

الألم وحده لم يعد بحجم الحياة،

إنه أكبر من الإنسان

لكن على الإنسان أن يُسكنه قلبَه.

من مجموعة: **في النفس الأخير ١٩٦٨،**

قصائد بين ١٩٦١ ـ ١٩٦٥



تستطيعين

عندي، مكان ومتسعٌ

لحزنكِ، وادعائكِ، وفرحكِ

لا.. لا شيءَ يمنعكِ من زيارتي

في الأيام المشمسة،

وليس فقط حين تُعْوِل العاصفة.

هنا، تستطيعين أن تبكي

وأن تشتمي

وتستطيعين، كالسرِّ، أن تضحكي...

حتى أن تضحكي -

ولن يوقف أحدٌ انصرافكِ.

إنني هنا...

أما أنت، فتعالي، حسبُ، وانصرفي.

تبدلات

هذا أملنا: أننا اجتزنا

حدود الحقيقة الأخيرة.

لكن.. بينما يختفي الوعي

فإن هذا الوعي نفسه

تبقى

تبدلاتهُ الدائمةُ.

لماذا... اليوم؟

أنت تعلم جيداً

أن الألم لا يكون أقل

حين نقارنه بألم أعظم،

لكن.. يداك ملطختان بالدم؟

أنت لم تقتلْ أحداً،

لم تفعلْ هذا البتة،

لم تفعلْ...

إنك، فقط، فاعلٌ هذا، يوماً

لكن... لماذا اليوم؟

لا تبك

إنها تُعتم، اتركِ القراءة

الشمس تطلع،

لا تبك

ربما اليوم، أو أمس، أو بعد حين

يتوافق قدرك وإرادتك

مع الحياة،

حتى لو كانت الأذهان مختلفة.

طبيعي أنك لو خطوت وراء الكلمات

فستسقط في الهاوية.

الدم يكفيك، لكنه قليلٌ عند القتلة.

من يعرف؟

إذًا، تضعين ضفائركِ المقطوعةَ

وحاجبيكِ المتوفين، على كتابي

فقط لأنك سوف ترتدين

في يوم زفافك، ثوباً في مكتب التسجيل

وآخر في الكنيسة،

مع أنك ستقومين بالغسيل أسبوعياً

لأن الملابس قليلة.

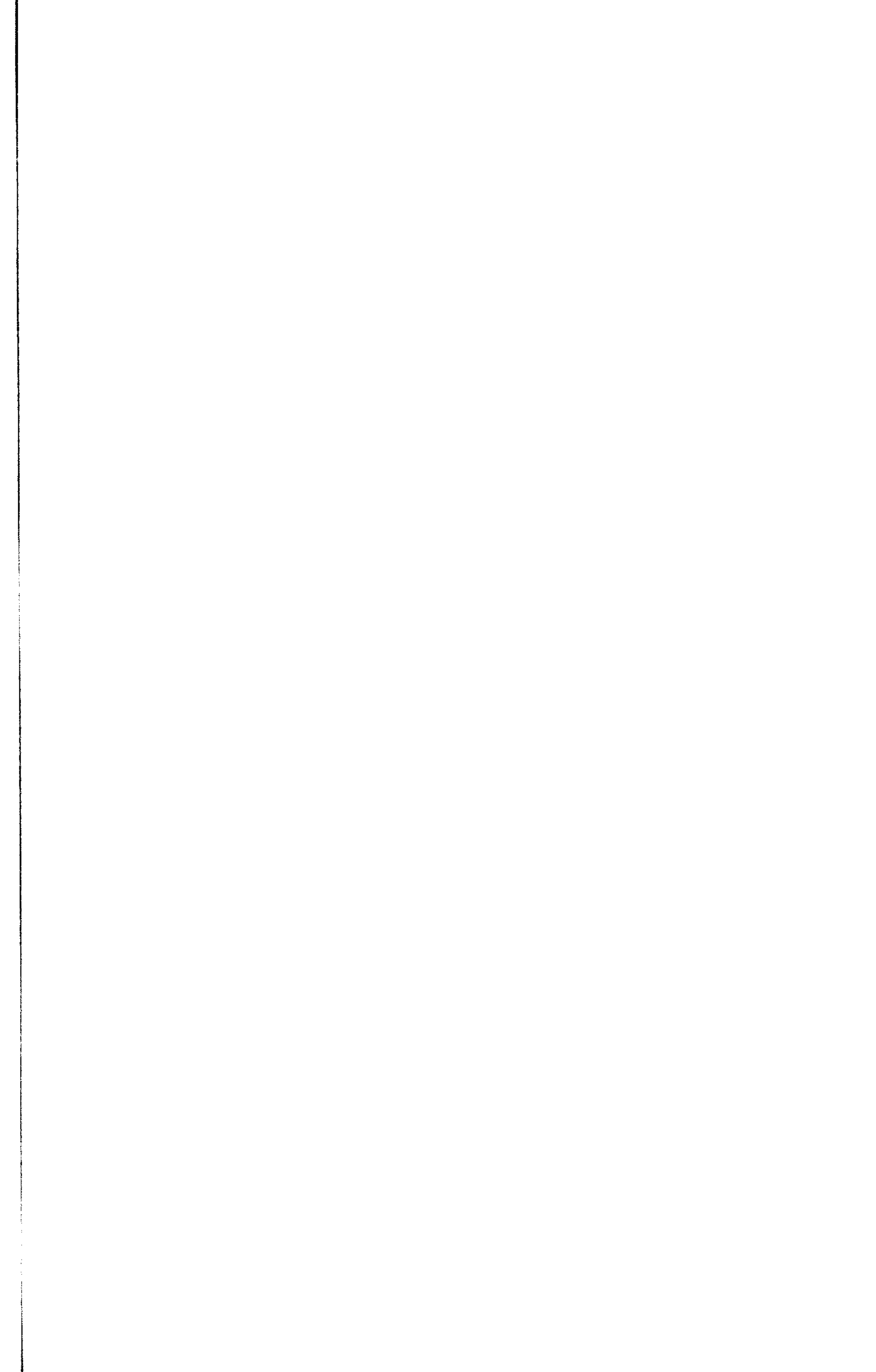
بينا يبيع العريس منذ الآن

بدلة غرفةِ النوم.

أيتها الملكة...

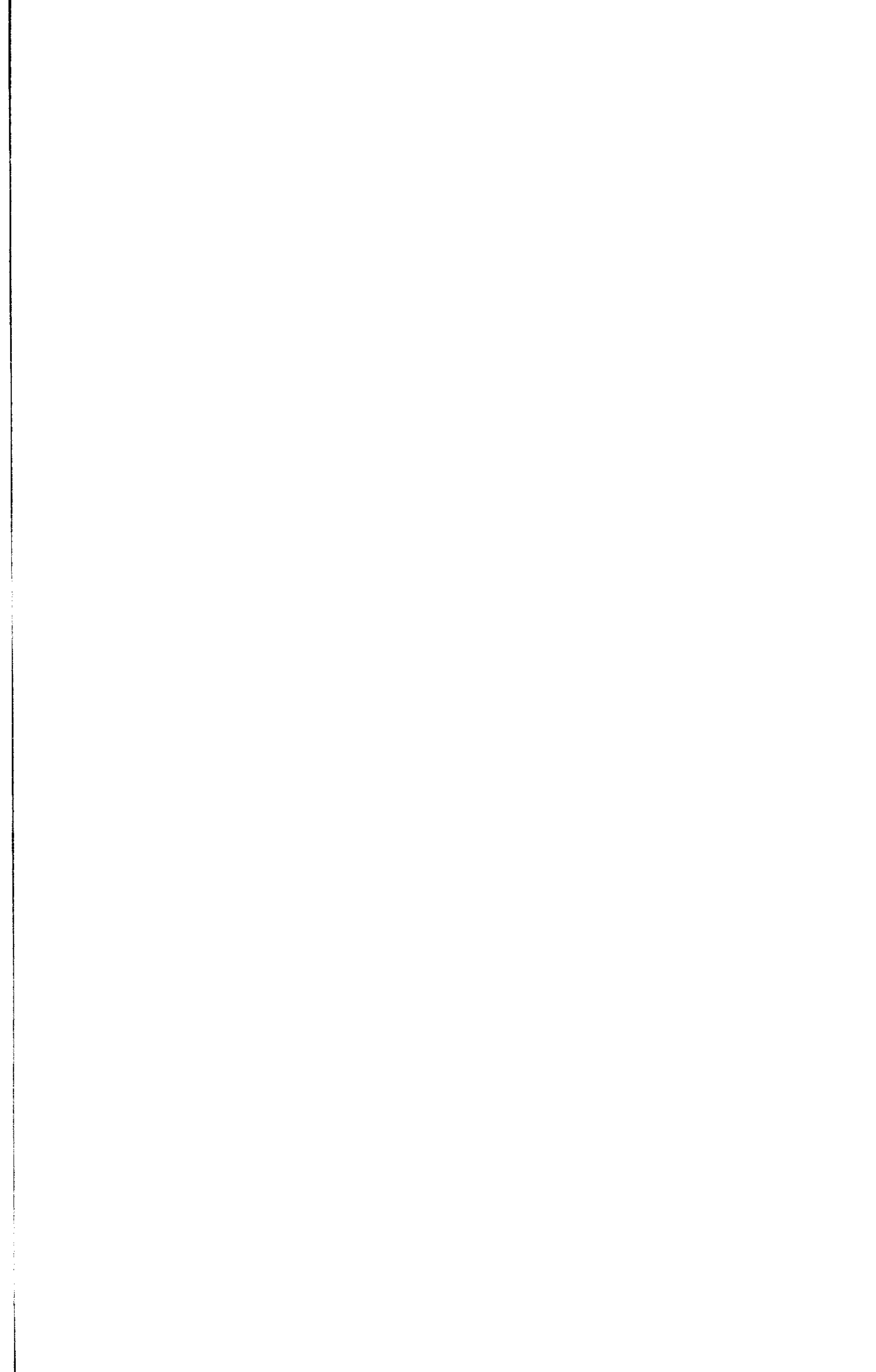
من يعرف إن كانت الدموع تفضح نفسها

حين لا يريد أحدٌ منها شيئاً.



من مجموعة: **قصائد إضافية،**

قصائد بين ١٩٦٧ ـ ١٩٦٩



ضدّ

كنت سأخبركِ، مسروراً

لكن يجب ألاَّ أخبركِ.

الزمن يرقص رديئاً

بأحذية المأساة المهترئة

ويشهد ضدَّ الحب.

الأشجار تُزهر، ولا ثمر.

عيشٌ في الحياة، ووجود في العدم

ومهما حدث

لن يحدث شيء...

وأي نبوءة؟

هل أكلمكِ ثالثةً؟

نحن أيضاً

ربيعٌ قبل الأوان.

ربيعٌ متردِدٌ... براعمه الأولى شكوكه.

إن كنا نخاف أن العطاس في المشرحة

يعني الثلج، والصقيع الآتي

فكيف ترانا نهدِّئ الشمس الغاضبة اللاسعة؟

كَمَدُ القلبِ الذي بلا حرية

ما يزال في بدايته.

ثمة شيء مفقود في خاصرة الأرض وسُرَّتها.

نحن أيضاً ينقصنا الكثير حين نحب:

مثل الحب

ونسيان الذات.

أنت تفكرين بالأطفال

أنت تفكرين بالأطفال،

بمطالبهم العجلة... الآن.. الآن

كل شيء الآن

دون أن يهتموا بـ: متى، وأين...ما فائدة أن تنظري إلى نفسك في المرآة؟

إنهم يسألون ببساطة

لأنهم لم يحبوا بعد...

أجل،

الأطفال، وحدهم، لا يحتاجون إلى بديل.

الفرح

ما قلته، فعشته

كان للموتى...

الفرح وحده، هو الموجود حقاً

في أوانه،

لأنه، وحده، الفوري.

الأكثر حضوراً، الأكثر زوالاً.

كل لنفسه

تفاحاتٌ عديدة، ولا شجرة تفاح

لكن، لم يعد هنا، تفاح.

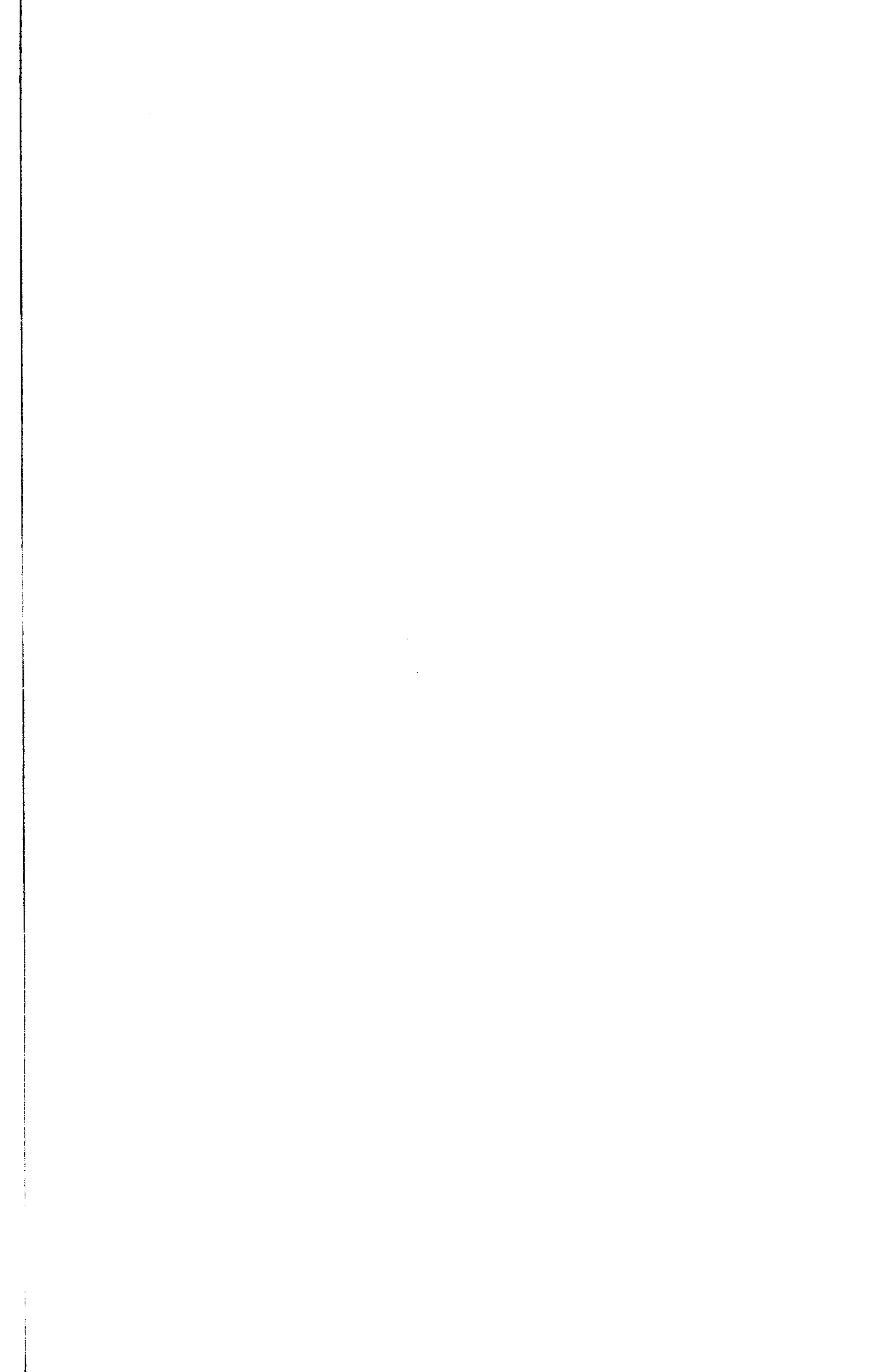
عذابٌ ولا حب

لكن، لم يعد هنا، أناسٌ لم يعمَّدوا.

كلٌّ لنفسه

ولدينا الوقت للحظات فقط.

لن تستمر الحال.



المحتويات

هذا الكتاب

كنت سأخبركِ، مسروراً

لكن يجبَ ألاَّ أخبركِ.

الزمن يرقص رديئاً

بأحذية المأساة المهترئة

ويشهد ضدَّ الحب.

الأشجار تُزهر، ولا ثمر.

عيشٌ في الحياة، ووجود في العدم

ومهما حدث

لن يحدث شيء...

وأي نبوءة؟

هل أكلمكِ ثالثةً؟

